Diaa Al-Fekr Journal for Research and Studies

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

Journal Homepage: https://ojs.diaalfekr.com/index.php/sjlb

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

Vol. 1, Issue 12, 2026, pp. 11 – 27

# بلاغة الصّمت في الخطاب اليومي العربي: دراسة تداوليّة في ضوء اللّسانيات المعاصرة

# The Rhetoric of Silence in Everyday Arabic Discourse: A Pragmatic Study in the Light of Contemporary Linguistics

DOI: https://doi.org/10.71090/62mqd084

أبو علي، جومانة توفيق. (٢٠٢٦). بلاغة الصّمت في الخطاب اليومي العربي: دراسة تداوليّة في ضوء اللّسانيات المعاصرة، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات، المجلد (١)، العدد (١٢)، ص ص. ١١ – ٢٧. https://doi.org/10.71090/62mqd084

# بلاغة الصّمت في الخطاب اليومي العربي: دراسة تداوليّة في ضوء اللّسانيات المعاصرة

# The Rhetoric of Silence in Everyday Arabic Discourse: A Pragmatic Study in the Light of Contemporary Linguistics

**أ. د. جومانة توفيق أبو علي***

**Prof. Dr. Joumana Tawfik Abu-Ali ***

**الملخّص:**

تنطلق هذه الدراسة من فكرة أساسيّة مفادها أنّ الصّمت في الخطاب اليومي العربي ليس مجرد غياب للكلام، بل هو شكل من أشكال التّعبير يحمل دلالات عميقة تتشكل في سياق التّفاعل بين المتخاطبين. وتسعى الدراسة إلى فهم الصّمت كأداة بلاغية تُسهم في بناء المعنى، مستفيدةً من المنظور التّداولي الذي يربط اللّغة بمقاصد المتكلمين وظروف الاستعمال.

وقد اعتمدت الدّراسة على المنهج التّداولي، من خلال توظيف مفاهيم مثل أفعال الكلام، ومبدأ التّعاون، والاستلزام الحواري، للكشف عن المعاني الضّمنية التي يعبّر عنها الصّمت في المواقف اليوميّة. كما تمّ تحليل نماذج من الخطاب اليومي تحليلًا وصفيًا يبرز كيف يتحول الصّمت إلى وسيلة للتّلميح، أو التّعبير غير المباشر، أو تجنّب الإحراج، أو حتى تأكيد مواقف معيّنة من دون التصريح بها صراحةً.

وتُظهر نتائج الدراسة أنّ الصمت عنصرٌ فاعلٌ في التّواصل، لا يقل أهميّة عن الكلام، إذ يؤدي أدوارًا متعددة تسهم في توجيه الخطاب وإغنائه دلاليًا. ومن هنا، تبرز أهمية إعادة النّظر في الصّمت باعتبار كونه جزءًا من بلاغة الخطاب، بما يفتح المجال لفهم أعمق لآليات التّواصل في الحياة اليوميّة العربيّة.

**الكلمات المفتاحية: الصّمت، البلاغة التّداوليّة، الخطاب اليومي، المعنى الضّمني، اللّسانيات المعاصرة.**

## Abstract:

This study is grounded in the central idea that silence in everyday Arabic discourse is not merely the absence of speech, but rather a form of expression that carries deep meanings shaped within the context of interaction between interlocutors. It seeks to understand silence as a

* أستاذة في الجامعة اللبنانية- ومشرفة دكتوراه وماجستير في جامعات خاصة- المديرة التربوية في مركز الأبرار التربوي - لبنان.
Email: Joumanaabouali@outlook.com

* Professor at the Lebanese University, PhD and MA supervisor at private universities, and Educational Director at Al-Abrar Educational Center – Lebanon.

rhetorical device that contributes to the construction of meaning, drawing on a pragmatic perspective that links language to speakers' intentions and the conditions of use.

The study adopts a pragmatic approach by employing key concepts such as speech act theory, the cooperative principle, and conversational implicature to uncover the implicit meanings conveyed through silence in everyday situations. It also analyzes samples of daily discourse using a descriptive approach, highlighting how silence can function as a means of suggestion, indirect expression, avoidance of embarrassment, or even the affirmation of certain positions without explicit articulation.

The findings reveal that silence is an active component of communication, no less important than speech itself, as it performs multiple roles that guide and enrich discourse semantically. Accordingly, the study underscores the importance of reconsidering silence as an integral part of rhetorical expression, opening new avenues for a deeper understanding of communication mechanisms in everyday Arabic life.

**Keywords: Silence, Pragmatic Rhetoric, Everyday Discourse, Implicit Meaning, Contemporary Linguistics.**

## المقدّمة:

ارتبطت البلاغة في التّراث اللغوي العربي منذ نشأتها بالكلام المنطوق، وبما يشتمل عليه من أساليب تعبيريّة وصور بيانية ودلالات تؤدّي المعنى وتُحدث الأثر في المتلقي. وفي المقابل، لم يحظَ الصّمت باهتمام مماثل، إذ غلب النّظر إليه على أنّه مجرد غياب للكلام أو انقطاع عن عملية التّواصل، لا يحمل قيمة بلاغيّة أو دلاليّة مستقلة. غير أنّ الدّراسات اللّسانية الحديثة، ولا سيّما التّداولية، قدّمت رؤية مختلفة لهذا التّصور، فأبرزت أنّ الصّمت ليس فراغًا تواصليًا، بل قد يكون وسيلة للتّعبير لا تقل أهمية عن القول، إذ تتحدد دلالاته في ضوء المقام والسّياق والعلاقة بين أطراف الخطاب، فيغدو فعلًا تواصليًا قادرًا على نقل المعاني وإنتاج الأثر من دون حاجة إلى التّلفظ بالألفاظ.

ويؤدي الصّمت في الخطاب اليومي العربي وظيفة تواصليّة تتجاوز مجرد الامتناع عن الكلام، إذ تكتسب دلالاته من السّياق الذي يرد فيه، ومن طبيعة العلاقة بين المتخاطبين، ومن الأعراف الاجتماعيّة والثّقافية السّائدة. لذلك لا يحمل الصّمت معنى واحدًا ثابتًا، بل قد يكون علامة على القبول أو الرّفض، والاحترام أو الاحتجاج، والحكمة أو الغضب، وفقًا للمقام التّداولي وما يحيط به من قرائن تسهم في توجيه تأويله.

وانطلاقًا من هذا الوعي، تسعى هذه الدّراسة إلى مقاربة بلاغة الصّمت في الخطاب اليومي العربي مقاربة تداوليّة، في ضوء مفاهيم اللّسانيات المعاصرة، للكشف عن وظائفه التّواصليّة وآلياته الدّلاليّة، وإبراز دوره بوصفه عنصرًا بنيويًا في بناء المعنى، لا هامشًا لغويًا عابرًا، بما يسهم في توسيع أفق البحث البلاغي العربي وربطه بالتحولات الحديثة في دراسة اللغة والخطاب.

**الإشكالية:**

تنبع هذه الدّراسة من إشكالية مركزيّة تتصل بطبيعة الصّمت في الخطاب اليومي العربي، وتتمحور حول سبل فهمه وتأويله: أهو مجرد انقطاع عن الكلام، أم ممارسة تواصليّة تنطوي على دلالات بلاغيّة وتداوليّة فاعلة في تشكيل المعنى؟ وإلى أيّ حدّ يتيح الدّرس اللّساني المعاصر، ولا سيّما المقاربة التّداوليّة، الكشف عن وظائف الصّمت وآلياته في التّفاعل اليومي العربي، في مقابل المقاربات التّقليدية التي قصرت البلاغة على الملفوظ المنطوق؟

**أهمية البحث:**

أ- إبراز الصّمت بوصفه فعلًا تواصليًا ذا قيمة بلاغيّة وتداوليّة في الخطاب اليومي العربي، بما يوسّع مفهوم البلاغة ليشمل غير الملفوظ.

ب- تعميق فهم آليات التّواصل العربي من خلال تحليل الصّمت في ضوء السّياق الاجتماعي والثّقافي، وفتح آفاق تطبيقيّة لدراسته في الخطابات المعاصرة.

**المنهج المعتمد:**

تعتمد هذه الدّراسة المنهج التّداولي كإطار أساسي للتّحليل، لما يتميّز به من قدرة على الكشف عن الوظائف الدّلاليّة والتّواصليّة للصّمت في الخطاب اليومي العربي. ويركّز هذا المنهج على الصّمت في سياقه الاجتماعي والثّقافي، مع دراسة علاقته بالملفوظ وسير التّفاعل بين المتخاطبين. كما يعتمد البحث على تحليل نماذج متنوعة من الحوار اليومي، مستفيدًا من نتائج الدّراسات اللّسانية الحديثة، لتوضيح كيف يتحوّل الصّمت من مجرد غياب للكلام إلى فعل تواصلي فاعل يسهم في بناء المعنى وتوجيه المواقف.

يمكن تلخيص مزايا المنهج التّداولي في نقطتين:

١–دراسة الصّمت في سياقه الاجتماعي للكشف عن دلالاته ووظائفه التّواصليّة.

٢–فهم الصّمت كفعل تواصلي فاعل مرتبط بالملفوظ وسير التّفاعل، وليس مجرد انقطاع عن الكلام.

## الدّراسات السابقة:

**١– ابن أبي الدنيا. (١٩٨٦). الصمت وآداب اللسان. بيروت: دار الغرب الإسلامي.**

يتناول هذا الكتاب موضوع الصّمت من منظور ديني وأخلاقي في التّراث العربي الإسلامي، ويجمع المؤلف فيه بين الأحاديث والآثار والأخبار التي تناولت فضيلة الصمت وآداب اللسان، مع تفسير نصوص تظهر كيف يرتبط الصّمت بالبلاغة الأخلاقية والكلام الحكيم، ممّا يبرز أهميته في التّفاعل الاجتماعي وتوجيه السلوك. الكتاب محقق بنصوصه الأصلية ويُعدّ مرجعًا غنيًا في فهم الدّلالات الاجتماعية للصّمت ضمن الثّقافة العربية.

**٢– الحباشة، ص. م. (٢٠١١). الأسلوبية والّتداولية: مداخل لتحليل الخطاب. إربد، الأردن: عالم الكتب.**

يعرض هذا الكتاب رؤيةً نظريّة تجمع بين الأسلوبيّة والتّداولية في دراسة الخطاب، ويبيّن إمكان الإفادة من هذا التّكامل في تحليل الظّواهر اللّغوية وغير اللّغوية، ومنها الصّمت بوصفه عنصرًا فاعلًا في العمليّة التّواصلية. كما يتناول الأسس التي تقوم عليها التّداولية في تحليل الخطاب، موضحًا أنّ فهم التّفاعل اللّغوي لا يقتصر على الألفاظ المنطوقة، بل يمتد إلى ما يحيط بها من دلالات وسياقات وعناصر تسهم في توجيه المعنى وبناء المقاصد التّواصلية. ومن ثمّ يُعدّ هذا الكتاب مرجعًا مهمًا في دراسة وظائف الصّمت والكشف عن أبعاده التّداوليّة داخل الخطاب.

**٣– هلال، م. ع. ح. (٢٠١١). البلاغة في لغة الصمت: الصمت صوت دون صدى. القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية.**

يتناول هذا الكتاب الصّمت من منظور بلاغي، ويرى فيه وسيلة تعبير لا تقلّ أهميّة عن الكلام في عملية التّواصل الإنساني. فالصّمت، في نظر المؤلف، ليس مجرد امتناع عن النّطق، بل يحمل معاني ودلالات تتشكّل وفق السّياق والموقف، وقد يكون أبلغ من الكلمات في التّعبير عن المشاعر والأفكار. كما يبيّن أنّ

للصّمت وظيفة تواصليّة مؤثرة، إذ يُسهم في نقل الرّسائل وإيصال المعاني اعتمادًا على التّجربة الإنسانيّة وما يحيط بالموقف من ظروف وملابسات.

## مفاهيم ومصطلحات:

**مفهوم الصّمت في اللّغة اللسانيات:** يُعدّ الصّمت من الألفاظ العربيّة القديمة الّتي ارتبطت بالكلام والسّكوت.

**لغويًا،** يدلّ الصّمت على الإمساك عن الكلام مع القدرة عليه، أي أنّ المتكلّم يختار السّكوت اختيارًا لا عجزًا. وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "الصَّمْتُ تركُ الكلام مع القدرة عليه"، وهو ضدّ النّطق والكلام (ابن منظور، ١٩٩٩، ج٣، ص ٢٤٣). ومن هذا التّعريف يتّضح أنّ الصّمت ليس فراغًا لغويًا، بل هو فعل إراديّ يحمل معنى الامتناع الواعي عن القول.

أمّا **اصطلاحيًا،** فقد تطوّر مفهوم الصّمت في الدّراسات اللّسانيّة والبلاغيّة الحديثة ليشير إلى "حالة لغويّة يتوقّف فيها المتكلم عن النّطق من دون أن يتوقّف عن التّواصل". فالصّمت في هذا السّياق لا يُعدّ غيابًا للكلام، بل **وسيلة دلاليّة** قد تحمل معانيَ تتجاوز القول نفسه، كالإيحاء، أو الرّفض، أو الإقرار الضّمني وفقًا للموقف التّداولي (الجلولي، ٢٠١٤، ص ٥٧).

**- أنواع الصّمت في الخطاب العربي:**

يعدّ الصّمت ظاهرة لغوية وتواصلية تتجاوز مجرد انقطاع الصّوت أو غيابه، إذ يؤدي أدوارًا دلاليّة ووظيفية تتحدّد في ضوء السّياق الذي يرد فيه. ولذلك ميَّز الباحثون بين أنماط متعددة للصّمت، استنادًا إلى وظائفه ومقاماته المختلفة في الخطاب العربي.

**١- الصّمت الدّلالي (الصّمت المعنوي):**

وهو الصّمت الذي يحمل دلالة محدّدة في سياق الخطاب، إذ يؤدّي وظيفة بلاغيّة أو تواصليّة رغم غياب الصّوت. فالصّمت هنا لا يُفهم بوصفه غيابًا للمعنى، بل يُعد وسيلة للإيحاء أو التّلميح أو الامتناع المقصود عن التّصريح. ويظهر هذا النّوع في المواقف التي يكون فيها الصّمت أبلغ من الكلام، كأن يعبّر عن الغضب أو الرّفض أو الحرج، فيغدو جزءًا فاعلًا من عملية التّواصل (العريدي، ٢٠١٥).

**٢- الصّمت التّركيبي (الصّمت النّحوي):**

ويُقصد به المواضع التي يُحذف فيها عنصر لغويّ في البنيّة التّركيبيّة للجملة، كالفعل أو المبتدأ أو الخبر، ويُفهم المحذوف من المقام أو القرائن النّصيّة. هذا الصّمت يدخل ضمن ظاهرة الحذف التي تُعدّ من مظاهر الإيجاز والإعجاز في العربيّة (الجرجاني، ١٩٩٨).

**٣- الصّمت التّداولي (البراغماتي):**

يتعلّق هذا النّوع بوظيفة الصّمت في التّفاعل اللّغوي، إذ يُستخدم كوسيلة للتّعبير عن مواقف اجتماعيّة أو نفسيّة أو ثقافيّة. فالصّمت قد يدل على الاحترام، أو الحذر، أو الموافقة الضّمنيّة، أو الاعتراض غير المباشر، بحسب طبيعة الموقف والمشاركين في الخطاب (العمراني، ٢٠١٩).

**٤- الصّمت الجمالي (الأسلوبي):**

يبرز في النّصوص الأدبيّة والشّعريّة حيث يُستثمر الصّمت كأداة فنيّة لإحداث التّوتر أو الغموض أو التّأمل. فهو يتيح مساحة للتّلقي وإشراك المتلقي في بناء المعنى، ممّا يجعله جزءًا من جمالية النّص (الخالدي، ٢٠٢٠).

يتّضح ممّا سبق أنّ الصّمت في الخطاب العربي ليس مجرّد انقطاع للصّوت أو غياب للكلام، بل هو عنصر لغويّ وبلاغيّ فاعل يشارك في إنتاج المعنى وصياغة الخطاب. فالصّمت لا يُفهم بمعزل عن السّياق الذي يرد فيه، وإنّما يكتسب دلالته من المقام، ومن طبيعة العلاقة بين أطراف التّواصل، ومن الظّروف المحيطة بالخطاب. ولذلك قد يكون الصّمت أبلغ من الكلام في مواقف كثيرة، إذ يعبّر عن معان يصعب الإفصاح عنها لفظًا، كالحيرة، أو الدّهشة، أو الحزن، أو الرّضا، أو الاعتراض، أو التّأمل، فتتجاوز وظيفته حدود السّكوت إلى أداء أدوار دلاليّة وتداوليّة متعدّدة.

كما أنّ تنوّع أنماط الصّمت واختلاف وظائفه يكشفان عن حضوره البنائي في تشكيل الخطاب، فهو قد يسهم في تنظيم مجرى الحوار، وتوجيه المتلقّي إلى استنتاج المعنى، وإضفاء قدر من الإيحاء والتّكثيف على النّص، فضلًا عن دوره في تحقيق الانسجام بين العناصر اللّغويّة وغير اللّغويّة في العمليّة التّواصليّة. ومن هنا يغدو الصّمت جزءًا من البنيّة التّعبيريّة للنّص، لا عنصرًا هامشيًا أو فراغًا يمكن تجاوزه.

وانطلاقًا من ذلك، فإنّ دراسة الصّمت لا تقتصر على الجانب اللّغوي فحسب، بل تمتد إلى ميادين البلاغة والتّداوليّة وتحليل الخطاب، لما يتيحه من إمكانات واسعة في الكشف عن المعاني الضّمنيّة واستجلاء مقاصد المتكلمين وآليات التّأثير في المتلقين. وهذا ما يجعل الصّمت ظاهرة لغويّة وإنسانية ثريّة تستحق مزيدًا من البحث والتّأمل، ولا سيّما في الخطاب العربي الذي أولى الإيحاء والتّلميح منزلة رفيعة في التّعبير، وجعل من الصّمت في كثير من المقامات وسيلة بلاغيّة لا تقل أثرًا عن الكلمة المنطوقة.

**- وظائف الصّمت البلاغيّة والدّلاليّة:**

يُعدّ الصّمت مكوّنًا بلاغيًّا ودلاليًّا مهمًّا في بنية الخطاب العربي؛ إذ لا يقتصر على كونه غيابًا للكلام أو انقطاعًا عن القول، بل يتحوّل إلى علامة تواصليّة تسهم في إنتاج المعنى وتوجيه التأويل. فالصّمت، في المنظور البلاغي، يمثل صورة من صور الإيجاز والإيحاء، حيث يفسح المجال لما وراء الملفوظ، ويعبّر عن معان قد يعجز القول المباشر عن أدائها، ممّا يمنح الخطاب طاقة جماليّة وتأويليّة أوسع.

فقد أشار الجرجاني (١٩٩٢) إلى أنّ البلاغة ليست في اللّفظ وحده، بل في **مطابقة الكلام لمقتضى الحال**، وهو ما يجعل الصّمت في مواضع معيّنة أبلغ من النّطق، لأنّه ينسجم مع المقام ويعبّر عن المعنى بطريقة غير مباشرة.

فعلى سبيل المثال، في قوله تعالى: " قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ " (هود: ٦٩)، لم يذكر القرآن الكريم ردّ إبراهيم المباشر على الملائكة حين لم يأكلوا، فكان **الصّمت دالًا على خوفه وتعجّبه**، أي أنّ الحذف هنا أضفى دلالة شعوريّة عميقة تفوق أثر القول نفسه. وكذلك في المواقف الحواريّة اليوميّة، يُعبّر الصّمت أحيانًا عن **الرفض الضّمني** أو **التّحفّظ الأدبي**، كما في سكوت الطّالب أمام أستاذه عندما يُسأل عن خطأ ارتكبه، إذ يدلّ امتناعه عن الرد على **إقرار خفيّ أو خجل مشروع**، وهو معنى لا يمكن أن يُنقل بالكلام المباشر (الخالدي، ٢٠١٥).

أمّا من النّاحية الدّلاليّة والتّداوليّة، فإنّ الصّمت يقوم بوظائف تواصليّة متعدّدة، مثل التّعبير عن الموقف النّفسي، وإدارة التّفاعل، وتجنّب المواجهة. فوفق تحليل التّفاعلات اللّغوية، يُعدّ الصّمت استراتيجيّة لغويّة لتحقيق التّوازن في الموقف الحواري .(Leech, 1983) فهو لا يعبّر عن غياب المعنى، بل عن

تحكّم في إنتاجه بما يتناسب مع مقاصد المتكلّم وسياق المتلقي. ومن ثمّ فإنّ الصّمت يصبح "كلامًا مؤجَّلًا" أو "لغةً ضمنيّة"، يتشارك المتخاطبون في تأويلها اعتمادًا على السّياق الاجتماعي والثّقافي.

وهكذا، يتّضح أنّ الصّمت في الخطاب العربي ليس سلبًا لغويًا أو فراغًا دلاليًا يُشير إلى انقطاع التّواصل، بل هو فعل تواصليّ مقصود يمتلك طاقة تعبيريّة لا تقلّ أثرًا عن طاقة اللّفظ المنطوق. فالصّمت، في كثير من السّياقات، يؤدّي وظائف بلاغيّة ودلاليّة متعدّدة؛ إذ قد يكون أداة للإيحاء، أو وسيلة للتّلميح، أو استراتيجية للتّأثير والإقناع، كما قد يسهم في توجيه المتلقّي نحو استنباط المعاني الكامنة خلف ظاهر الكلام. ومن ثمّ فإنّ حضوره في البنيّة الخطابيّة لا يُعدّ غيابًا للمعنى، بل شكلاً من أشكال إنتاجه وتكثيفه، بحيث تتداخل فيه الأبعاد اللغويّة والتداوليّة والنّفسيّة والاجتماعيّة. ومن هنا يغدو الصّمت عنصرًا بنائيًا فاعلًا في تشكيل الخطاب وإثراء دلالاته، بما يمنح النّص عمقًا تأويليًا واتساعًا في أفق التلقّي. كما يكشف هذا الحضور عن خصوصيّة اللّغة العربيّة وثرائها التّعبيري، وقدرتها على الإفصاح عمّا يُقال وما لا يُقال معًا، وعلى نقل المعاني الظّاهرة والمضمرة بوسائل لغويّة وبلاغيّة دقيقة تجعل من الصّمت خطابًا موازيًا للكلام، وشريكًا أساسيًا في بناء المعنى وتحقيق المقاصد التواصليّة.

**- الصّمت في ضوء التّداولية الحديثة:**

**من الظّاهرة اللّغويّة إلى المقاربة التّداوليّة:**

ظلّ الصّمت، لمدّة طويلة، يُنظر إليه في الدّراسات اللّغويّة على أنّه مجرّد غياب للكلام أو توقّف عن النّطق، من دون الالتفات إلى ما قد يحمله من دلالات ومعانٍ. غير أنّ تطوّر الدّرس اللّغوي، ولا سيّما مع ظهور اللّسانيات التّداولية، أسهم في تغيير هذا التّصوّر؛ إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على ما تقوله الجمل في ذاتها، بل امتدّ إلى دراسة اللّغة في سياق استعمالها الفعلي. فالتّداولية تنظر إلى الخطاب بوصفه فعلًا تواصليًا يرتبط بالمتكلّم والمتلقي، وبالمقاصد التي يعبّر عنها القول صراحةً أو تلميحًا، فضلًا عن الظّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة التي تمنح الكلام معناه (العلي، ٢٠١٩، ص ٢٢).

وبهذا التحوّل المنهجي، لم يعد الصّمت يُنظر إليه بوصفه غيابًا للكلام أو انقطاعًا في مساره، بل أصبح عنصرًا دلاليًا فاعلًا في بناء الخطاب، إذ يحمل معاني وإيحاءات قد تفوق في أثرها ما يصرّح به القول.

وتشير الدّراسات العربيّة الحديثة إلى أنّ "الصّمت ليس فراغًا لفظيًّا، بل منطقة دلاليّة معقّدة لا تكتمل قراءة الخطاب من دون استدعائها" (رحايمي، ٢٠١٨، ص ١١٥).

**- الصّمت كآلية للتّواصل غير اللّفظي:**

تنظر التّداوليّة إلى الصّمت بوصفه نوعًا من الأفعال الكلاميّة التي قد تؤدي أحيانًا وظيفة القول نفسه؛ فليس كل صمت خلوًّا من المعنى، بل قد يحمل دلالات يحدّدها المقام والسّياق. فعندما يُطرح على المتحدث سؤال مباشر ثم يختار الصّمت بدل الإجابة، فقد يُفهم موقفه على أنّه رفض، أو احتجاج، أو تجنّب للرد، أو تعبير عن الخجل، أو غير ذلك من الدّلالات الّتي يفرضها السّياق. ومن هنا يصبح الصّمت وسيلة تواصليّة غير منطوقة، تُستنبط دلالتها من خلال الفهم التّداولي للموقف، لا من خلال التّركيب اللّغوي وحده (معمر، ٢٠١٥، ص ٧١).

فالكلام ليس الوسيلة الوحيدة لإنتاج المعنى وبناء الدّلالة؛ فقد يكون الصّمت في بعض المواقف أكثر قدرة على التّعبير من القول نفسه، ولا سيّما حين يكون صمتًا مقصودًا يحمل موقفًا أو رسالة تتجاوز حدود الألفاظ. فقد يدلّ على الرّضا أو الرّفض، أو يكشف عن الدهشة والاستنكار، أو يعبّر عن مشاعر عميقة يصعب الإفصاح عنها بالكلام المباشر. ومن هنا لا يمكن النّظر إلى الصّمت على أنه غياب للتّعبير، بل هو شكل من أشكال التّواصل تتحدّد قيمته بما يحيط به من سياق ومقام وعلاقات بين أطراف الخطاب. لذلك قد يتحوّل الصّمت إلى رسالة ذات معنى، يفهم المتلقي مقاصدها من خلال القرائن والظّروف المصاحبة لها، فيغدو وسيلة بلاغيّة تسهم في تكثيف المعنى وتعميق أثره.

**- الإيحاء والاستنتاج:**

يقوم الدّرس التّداولي على نظريّة غرايس-(يُعدّ هربرت غرايس واحدًا من أبرز فلاسفة اللّغة في القرن العشرين، وقد أسّس من خلال نظريته في مبدأ التعاون والإيحاء أساسًا مهمًّا للدراسات التداولية الحديثة في الإيحاء (الزواوي، ٢٠٠٧، ص ٤٥ )، الّتي ترى أنّ المتلقي لا يكتفي بما يُنطق، بل يتجاوز ذلك إلى استنتاج ما لم يُصرَّح به. ويمكن تطبيق هذه الرّؤية عربيًا على حالات الصّمت، ولا سيّما حين يختار المتكلم الامتناع عن الإجابة، فيدفع السّامع إلى تأويل المعنى الغائب.

فعلى سبيل المثال: إذا قال أحدهم لصديقه: "هل سامحتني؟" وساد الصّمت الطّويل، فإنّ هذا الصّمت لا يُفسَّر حيادًا، بل يُفهم بوصفه رفضًا أو استمرارًا للغضب. فالمتلقي لا يحتاج إلى تصريح لفظي، بل يوظف معرفته السّابقة بالعلاقة والموقف ليستنتج المعنى الخفي. وقد أشار رحايمي (٢٠١٨، ص ١١٩) إلى أنّ "الصمت يفكّك مبدأ الكمّ عند غرايس، ويُجبر المتلقي على الانتقال من التفسير الحرفي إلى التأويل الاستنتاجي".

الصّمت في الخطاب ليس فراغًا دلاليًّا، بل مساحة تفاعليّة تتشكّل فيها المعاني بحسب المقام وظروف التّواصل. فالقيمة الحقيقيّة للصّمت لا تكمن في انعدام القول، وإنّما في قدرته على الإيحاء وفتح المجال أمام المتلقي لفهم ما وراء الظاهر، ممّا يجعله عنصرًا فاعلًا في بناء الدّلالة وتحقيق مقاصد الخطاب بوسائل غير مباشرة.

**- الصّمت كاستراتيجية تهذيب في الثّقافة العربيّة:**

في الخطاب العربي، يرتبط الصّمت بمرجعيات ثقافيّة واجتماعيّة منحته قيمة خاصة في الوعي الجمعي؛ فلم يُنظر إليه بوصفه غيابًا للكلام فحسب، بل عُدّ في مواقف متعددة سلوكًا دالًّا يحمل معاني الاحترام والحكمة وضبط النّفس. فقد يكون الصّمت تعبيرًا عن توقير الكبار سنًّا، أو حياءً، أو تعقّلًا، كما قد يُلجأ إليه لتجنّب المواقف المحرجة أو الحدّ من الصّدام بين المتخاطبين. ومن هنا عُدّ الصّمت في الموروث العربي "بابًا من أبواب البلاغة"، لما يتيحه من مساحة يشارك فيها المتلقي في استكمال المعنى وتأويله، فضلًا عن كونه وسيلة تحفظ للمتكلم قدرته على إدارة الخطاب بعيدًا عن المواجهة المباشرة (العلي، ٢٠١٩، ص ٥٧).

بل إنّ الصّمت في الخطاب السّياسي العربي قد يُستثمر كوسيلة للتّهرب من المواقف الصّعبة أو لتجنب الإدلاء بتصريحات محرجة، فيتحوّل بذلك إلى أداة للحفاظ على السّلطة الرمزيّة. وهو ما يسمّيه معمر (٢٠١٥، ص ٨٢): "اللّغة الممنوعة الّتي تظهر في شكل غياب ملفوظاتها".

## - نماذج تطبيقيّة:

**- مثال من الخطاب اليومي: - حوار من الواقع:**

**الأم:** هل ما زلت غاضبًا ممّا حصل؟

**الابن:** ظل صامتًا لفترة طويلة، ثم ابتعد من دون أيّ رد.

في هذه الحالة، لا يحتاج المتلقي إلى تصريح لفظيّ لفهم موقف الابن، إذ يكفي الصّمت ليُظهر بوضوح رفضه الكلام أو استمرار شعوره بالألم العاطفي. ويُعدّ هذا المثال نموذجًا للصّمت الاحتجاجي، الذي يعكس موقفًا داخليًا من دون استخدام الكلمات.

ولا بدّ هنا من ملاحظة أنّ الصّمت قد أدّى الوظيفة الدّلالية نفسها التي يمكن أن يؤدّيها تعبيرٌ لفظيّ مباشر، مثل: "نعم، ما زلت غاضبًا"، بل إنّه قد يكون في بعض المواقف أكثر قدرة على الإيحاء؛ إذ ينقل الانفعال بصورة مكثّفة من غير حاجة إلى الإفصاح عنه بالكلمات، محافظًا بذلك على عمق الشّعور الدّاخلي وقوّته.

**- مثال من الخطاب الإعلامي:**

قد يُوجّه إلى سياسي عربي سؤال استفزازيّ حول تورّط جهة حكوميّة في قضية فساد. فيبتسم ابتسامة مقتضبة، ويظل صامتًا لثوانٍ قبل أن يرد قائلاً: "لا تعليق". فهذا من منظور التّداولية، يُفترض هنا أنّ الصّمت لا يُعدّ إنكارًا، بل يشكّل نوعًا من التواطؤ اللّغوي بين السّائل والجمهور، إذ يدرك المستمعون أنّ الإجابة الحقيقيّة موجودة ضمن هذا الصّمت نفسه، متضمنة بشكل ضمني ما لم يُنطق به (رحايمي، ٢٠١٨، ص ١٢٤).

ويكشف هذا النّوع من الصّمت ما يسمّيه الباحثون "الإقرار غير المعلَن"، حيث يكون السّكوت – في الثّقافة العربيّة – مساويًا للاعتراف، وهو ما يتجلّى في المثل الشّهير: "السّكوت علامة الرّضا".

**- مثال من الأدب العربي:**

في رواية "**مدن الملح**" لعبد الرحمن منيف، تلتزم شخصية "متعب الهذال" الصّمت في مشاهد حواريّة حاسمة، ولا سيّما حين يشعر بتحوّلات المجتمع البدوي أمام الحداثة النّفطيّة. هذا الصّمت السّردي لا يُقرأ حيادًا، بل بوصفه موقفًا احتجاجيًا على عالم يتغيّر قسرًا. ومن منظور تداولي، يصبح الصّمت في الرّواية "لغة مقاومة"، لأنّها تقول ما لا يستطيع النّص التّلفظ به صراحة (منيف، ١٩٨٤، ص ٢١١).

ويُعلّق العلي على هذه الظاهرة بقوله: "الصّمت في الرّواية العربية الحديثة لا ينتمي إلى غياب الكلام، بل إلى امتلاء المعنى" (العلي، ٢٠١٩، ص ١٠٣).

**بلاغة الصّمت وتحوّلات المعنى في السّياق:**

يبيّن النّظر التّداولي للصّمت أنّه يتجاوز كونه فراغًا لغويًا أو توقفًا عن الكلام، ليغدو ممارسة تواصليّة تنبني دلالتها داخل السّياق، لا في الملفوظ المباشر. ويؤكّد ذلك التّصور التّداولي للغة الذي ينظر إلى القول بوصفه حدثًا اجتماعيًا، لا بنية نحويّة معزولة، ومن ثمّ يصبح الصّمت جزءًا أصيلًا من العمليّة التّواصليّة، لا استثناءً عنها (العلي، ٢٠١٩، ص ٤١).

ويبدو جليًا أنّ دلالات الصمت تتبدّل بتبدّل السياق، فلا يحمل الصّمت معنى واحدًا ثابتًا، بل تتولّد دلالاته من العلاقة بين المتخاطبين، والموقف، والغايّة الكلاميّة، وطبيعة الثّقافة الحاكمة. ولهذا لا يمكن تأويل الصّمت إلا من خلال إدراك "ما لم يُقل" وهو ما تسميه التداولية بـ"الإيحاء الحواري، الذي شرحه غرايس بوصفه عملية استدلال يعتمد فيها المتلقي على القرائن غير الملفوظة لاستخلاص معنى المتكلم (رحايمي، ٢٠١٨، ص ١١٨).

**- الصّمت في التّفاعل المباشر:**

في التّفاعلات الحواريّة اليوميّة، لا يحضر الصّمت بوصفه فراغًا في الكلام، بل يؤدي دورًا جوابيًا واضحًا، حتى من دون أن يُنطق. فعندما يُوجَّه سؤال مباشر إلى شخص ما ويقابله بالصّمت، يتحوّل هذا الصّمت ذاته إلى ردّ دالّ، تتنوّع معانيه بين الرّفض أو الاعتراض أو الانسحاب أو التمهّل في التّفكير، تبعًا لخصوصيّة الموقف وسياقه.

وهنا لا يُعدّ الصمت نقصًا في الكلام، بل فعلًا إنجازيًا يؤدي وظيفة تواصلية واضحة (معمر، ٢٠١٥، ص ٧٢).

ومن هنا، فإنّ التداولية لا تنظر إلى الصّمت بوصفه مجرّد توقف عن إنتاج الكلام أو غيابًا للملفوظ، بل تعدّه عنصرًا فاعلًا داخل البنيّة الحجاجيّة للخطاب، إذ يمكن أن يحمل وظائف دلاليّة وتواصليّة متعددة تُفهم من خلال السّياق الذي يرد فيه. فمعنى الصّمت لا يتحدّد في ذاته، وإنمّا يتشكّل من خلال مجموعة من العناصر المصاحبة للخطاب، مثل مقام التّخاطب، وعلاقة المتكلمين، والظّروف المحيطة بالموقف، والمعرفة المشتركة بين أطراف التّواصل. لذلك قد يتحوّل الصّمت إلى وسيلة للتّعبير عن موقف معين، أو لإيصال معنى ضمني يعجز القول المباشر عن أدائه، فيصبح حضورًا دلاليًّا داخل الخطاب لا يقلّ أهميّة عن حضور الكلام نفسه. ومن هذا المنظور، تدرس التّداولية الصّمت باعتباره فعلًا تواصليًا مقصودًا يمكن أن يؤدي وظائف حجاجيّة، من خلال تأثيره في المتلقي ودوره في توجيه فهمه وتأويله للرّسالة.

**- الصّمت سلوك اجتماعي:**

تؤدي المعايير الاجتماعية دورًا حاسمًا في تأويل الصّمت، ففي الثقافة العربية عمومًا، يرتبط الصمت أمام الأكبر سنًا أو صاحب السّلطة بمفهوم الاحترام والتّهذيب، لا بالعجز عن التّعبير. ويُنظر إليه في هذه الحالة بوصفه استراتيجيةً لحفظ "صورة المخاطَب" وعدم تعريضه للإحراج، مما يجعله جزءًا من سلوك التّواصل المراعِي للّباقة (العلي، ٢٠١٩، ص ٥٨).

وبهذا لا يعود الصّمت مجرّد وضع لغوي ساكن، بل يغدو فعلًا اجتماعيًا تحكمه الأعراف الثّقافية، حيث يغدو الكلام في بعض السّياقات غير ملائم، بينما يتقدّم السّكوت بوصفه الصّيغة المقبولة للتّفاعل.

**- الصّمت في بعده الثّقافي والرّمزي:**

لا يقف الصّمت في الثّقافة العربيّة عند حدود وظيفته التّواصليّة المباشرة، بل يتعدّاها ليغدو حاملًا لمعانٍ ضمنية تتصل بالحكمة، وضبط النّفس، والتّروّي، والقدرة على كتمان الموقف. وهو ما تعكسه الموروثات العربية الشّفهية، والأمثال الشّعبيّة التي تُعلي من شأن الصّمت: "إذا كان الكلام من فضة فالسّكوت من ذهب."

ويشير رحايمي (٢٠١٨، ص ١٢٤) إلى أنّ الصمت في الخطاب العربي لا يمثل نقيض الكلام، بل يقوم مقامه أحيانًا، خصوصًا في الخطاب السّياسي والإعلامي، حيث يُستخدم الصّمت للتّلميح، أو التّهرّب، أو تمرير المعنى من دون التّصريح به، تجنبًا للرّقابة أو الصّدام الاجتماعي.

وتتجلّى هذه الوظيفة بوضوح في الأدب العربي الحديث، إذ يُستثمر الصّمت لفتح فراغات دلاليّة تومئ إلى ما يعجز السّرد عن الإفصاح عنه صراحة، فتغدو المساحات الصّامتة في النّص أشدّ كثافة وإيحاءً من الكلام المنطوق نفسه (العلي، ٢٠١٩، ص ١٠٣).

يوضح التّحليل أنّ الصّمت لا يوجد بمعزل عن اللّغة، بل يعيش جنبها، وأنّه ليس مجرد غياب للكلام، بل هو حضور دلالي يحتاج إلى قدرة على التّعامل اللّغوي لفهم معناه. فالصّمت قد يشير إلى الرّفض أو الاحترام، الغضب أو الحكمة، الاحتجاج أو الخضوع، ويكون السّياق هو العامل المحدّد لدلالته أكثر من أيّ عنصر صوتيّ.

ومن ثمّ، لا يمكن للّسانيات المعاصرة –وخاصة التّداولية– أنْ تتعامل مع الصّمت بوصفه فراغًا لغويًا، بل يجب إدخاله ضمن منظومة التّحليل بوصفه نصًّا تواصليًا غير منطوق، يحمل من الإيحاء والدّلالة ما قد تعجز اللّغة المنطوقة عن قوله صراحة.

**– الصمت ضمن اللسانيات والتداولية الحديثة:**

نقدّم المثال التالي من حوار واقعي بين شخصين، حيث يؤدّي الصمت دورًا تواصليًا حاسمًا في تحديد المعنى المقصود:

**المتحدث (أ):** هل ما زلت غاضبًا من كلامي البارحة؟

**المتحدث (ب):** يصمت لثوانٍ، ينظر بعيدًا، ولا يجيب.

**المتحدث (أ):** حسنًا... يبدو أننا لن نتحدث في الموضوع الآن.

في هذا المثال، لا يُعدّ صمت المتحدث (ب) فراغًا لغويًا، بل ردًّا تداوليًا كاملًا. فإذا تعاملنا مع الحوار وفق منظور اللسانيات البنيوية القديمة، سيُنظر إلى الصمت بوصفه غيابًا للّفظ، أي "لا شيء"، لكن

التداولية الحديثة ترى فيه فعلًا كلاميًا غير منطوق، يحمل دلالة الرفض الضمني أو الاستياء أو تعليق الحوار (معمر، ٢٠١٥، ص ٧٥).

إنّ غياب الجواب هنا لا يعني غياب المعنى، بل يمثّل إستراتيجية تواصلية تعتمد على الإيحاء لا على التصريح، إذ يُستنتج موقف المتحدث (ب) من خلال ما يسميه غرايس "الإيحاء الحواري"، وهو نوع من المعنى يتشكل فيما "لم يُقل"، لا فيما قيل (رحايمي، ٢٠١٨، ص ١٢٠).

فالصّمت في هذا السياق لا يُستَخدم مجاملةً اجتماعية، بل يتخذ طابعًا احتجاجيًا؛ إذ يَرِد في موضع كان الجواب فيه منتظرًا، فيغدو بذلك خرقًا واعيًا لمبدأ التعاون الحواري (العلي، ٢٠١٩، ص ٦٦).

كذلك، فإنّ ردّ المتحدث (أ) بعد الصّمت: "حسنًا... يبدو أننا لن نتحدث في الموضوع الآن"، يبيّن أنّ الصّمت قد أدّى مفعوله التواصلي، إذ فهم المتلقي الرسالة غير المنطوقة، وتعامل مع الصمت على أنه رفض ضمني للاستمرار في الحديث، ممّا يؤكد أنّ الصمت قد تحوّل إلى لغة بديلة أنتجت المعنى من دون الحاجة إلى ملفوظات صريحة.

ويُطلق التحليل التداولي على هذا النّمط من الصّمت صمتًا تفاعليًا ذا قيمة تبادليّة، إذ لا يُنهي التّفاعل بل يعيد تشكيله وتوجيهه، ويتيح للخطاب أن ينتقل من طور المواجهة إلى طور الانسحاب المؤقت، بما يؤكّد أنّ الصّمت مكوّن بنيوي في الخطاب، لا مجرّد انقطاع عنه (العلي، ٢٠١٩، ص ٧١).

يكشف هذا المثال أنّ الصّمت في الحوار اليومي لا يستمد معناه من ذاته، بل من السّياق التّواصلي والاجتماعي والعاطفي المحيط به. لذلك لا يُقارب الصّمت من خلال النّحو أو المعجم، وإنما عبر التّحليل التداولي الذي يمنحه قيمة دلالية مكتملة، باعتباره فعلًا تواصليًا قائمًا بذاته، يعمل في المنطقة السابقة للكلام أو اللاحقة له.

## الخاتمة:

يكشف التّحليل التّداولي للصّمت أنّ هذه الظّاهرة لا تقع في هامش اللّغة ولا تُعدّ فراغًا دلاليًا، بل تمثل عنصرًا فاعلًا ومركزيًا في أنماط التّواصل العربي، سواءً في الحوار اليومي العفوي، أو في الخطاب الإعلامي الموجَّه، أو في النّص الأدبي بما يحمله من كثافة رمزيّة. وتتجلّى قيمة الصّمت حين يتحول إلى

لغة موازية تعمل خارج حدود الملفوظ المنطوق، لكنها تمتلك طاقة تداوليّة عاليّة تمكّنها من إنتاج المعنى، وتوجيه المواقف، وإعادة تشكيل علاقة المتكلمين بالمتلقين.

وانطلاقًا من هذا التّصور، لم يعد الصّمت في ضوء التّداوليّة الحديثة يُنظر إليه بوصفه حالة سلبيّة أو علامة على العجز عن الكلام، بل أضحى مكوّنًا بنيويًا من مكوّنات العملية التّواصلية نفسها، وأداة تداوليّة قادرة على الفعل والتأثير. وهو ما يفتح المجال أمام دراسات أعمق تتناول الصّمت في سياقات متعددة، ولا سيما في الخطاب الرّقمي حيث تتغير أنماط التّفاعل، وفي الخطاب السياسي بما ينطوي عليه من استراتيجيات إخفاء وإيحاء، وفي المجال التّربوي والدّرامي حيث يغدو الصّمت وسيلة تعليميّة وتعبيرية ذات دلالات مركّبة.

## قائمة المصادر والمراجع:


١. ابن منظور. (١٩٩٩). لسان العرب (ط٣، ج٣). دار صادر.

٢. الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود شاكر). مطبعة المدني.

٣. الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩٨). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود شاكر). مكتبة الخانجي.

٤. الجلولي، م. (٢٠١٤). بلاغة الصمت: دراسة في التداوليات المعاصرة. دار الكتاب الجديد المتحدة.

٥. حسان، تمام (مترجم). (٢٠٠١). التداولية (تأليف س. ليفنسون). عالم المعرفة.

٦. الخالدي، ر. (٢٠٢٠). جماليات الصمت في الشعر العربي الحديث .الهيئة العامة السورية للكتاب.

٧. الخالدي، محمد. (٢٠١٥). بلاغة الصمت في الخطاب العربي المعاصر. مجلة الدراسات اللغوية، ١٢(٢)، ٤٥–٦٨.

٨. رحايمي، يوسف. (٢٠١٨). الصمت: معطى تداولي ونسق خفي في الخطاب. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ٥، ١١٣ – ١٣٢.

٩. الزواوي، م. (٢٠٠٧). التداولية: مدخل نظري. دار الحداثة.

١٠. العريدي، س. (٢٠١٥). بلاغة الصمت في الخطاب العربي: دراسة تحليلية تداولية. دار الفكر العربي.

١١. العلي، بسّام. (٢٠١٩). التداولية وتحليل الخطاب العربي. دار كنوز المعرفة.

١٢. العمراني، ن. (٢٠١٩). التداولية في تحليل الخطاب العربي. دار كنوز المعرفة.

١٣. معمر، علي يحيى. (٢٠١٥). تحليل الخطاب ومرجعياته التداولية. دار الكتاب الجديد.

١٤. منيف، عبد الرحمن. (١٩٨٤). مدن الملح (التيه). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

15. Leech, G. (1983). Principles of Pragmatics. London: Longman.